مقارنة بين ثلاثة تفاسير مختصرة

باسمك اللهم..

إلى وقت قريب كان الناصح والمنصوح لا يخطر و لا يُذكر لهما تفسير يصلح للعامة والمبتدئين في الطلب إلا تفسير العلامة السعدي رحمه الله، وشهرته جعلت نسخه قرينة المصاحف في مساجدنا، وهو يفيض بالمعاني الخاصة المستنبطة والهدايات القرآنية التي تبوأ لأجلها مكاناً مرموقاً في المكتبة.

وكلما رجعت البصر فيه أحسست ببرزخ بين الطالب والمطلوب، ليس قصوراً في التفسير بقدر عدم مناسبته للمنشود، وكنت أعجب في الحقيقة ممن يعده مختصراً! فطبعته المضغوطة الضخمة في ثلاثة أعمدة بخط دقيق، لو نُشرت على الصفحات المفردة لخرجت في مجلدات، وهو ماحصل في طبعة دار ابن الجوزي.

والإمام السعدي رحمه الله رغم موسوعيته وعذوبة أسلوبه لم يكن يلتزم منهجاً معيناً فتارة يطيل وتارة يختصر، بل ربما تجاوز الآية ولم يذكرها، أو قصّر في كلمة فلم يفسرها، فمثلا عند قوله تعالى: (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) لم يذكر معنى الناصية وهي غريبة تحتاج بيان.

والشيخ أصلاً لم يلتزم هذه الأمور بل عد تفسيره عفو الخاطر كما قال في المقدمة: (اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها)، بالإضافة إلى أن الشيخ رحمه الله مات قبل أن تستقر نسخ التفسير ويأخذ حظه من النظر والتحرير.

ولأجل ما سبق كنت أتردد في ترشيحه، فهو طويل، وغير مطرد، وتفوته أشياء، والنفس تتشوف لغيره.

وفي الآونة الأخيرة اشتهرت بعض التفاسير المختصرة التي تسد الفجوة، وكان الإخوة والأحبة يسألون عن الأفضل، وكلها ذو فضل، فهذه الورقة لهم وهي مختصرة، والشاهد فيها يغني عن التطويل وضرب الأمثال، ولعلها تبدد حيرة من أراد تفسيراً يهديه، أو يعتمده لبدء الطلب فيكون درجة يرقى بها إلى المطولات، أو يوقفه في مسجد، أو يوزعه وينشره، أو يجعله مرجعاً لأهل بيته يغنيهم عن غيره.

والغرض من هذه الورقة مفارقة الانطباعات الشخصية إلى تكوين آراء موضوعية، بها تتحقق النصيحة للمسلمين، والمساهمة في تجويد العمل، بغض النظر عن إغراق السوق وجودة التوزيع.

والتفاسير المرشحة للمقارنة ثلاثة: زبدة التفسير، التفسير الميسر، المختصر في التفسير.

معلومات أولية

زبدة التفسير: مؤلفه د. محمد بن سليمان الأشقر رحمه الله والناشر دار النفائس.

التفسير الميسر: مؤلفه نخبة من العلماء لم تذكر أسماؤهم والناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

المختصر في التفسير: مؤلفه مجموعة من العلماء ذكرت أسماؤهم في المقدمة، والناشر مركز تفسير.

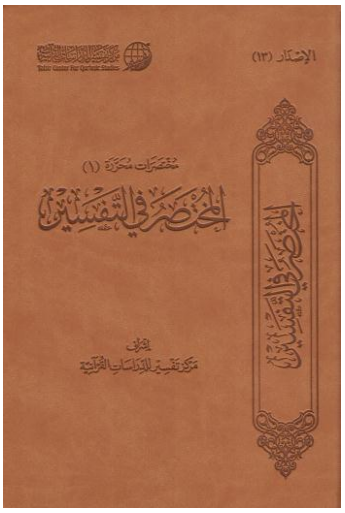

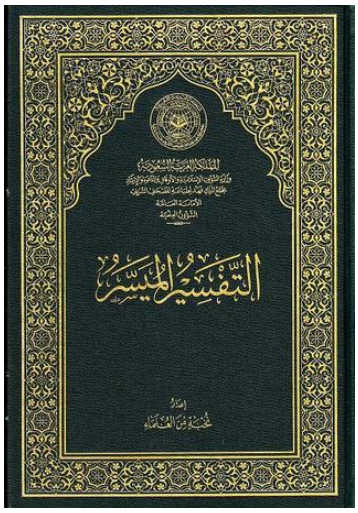

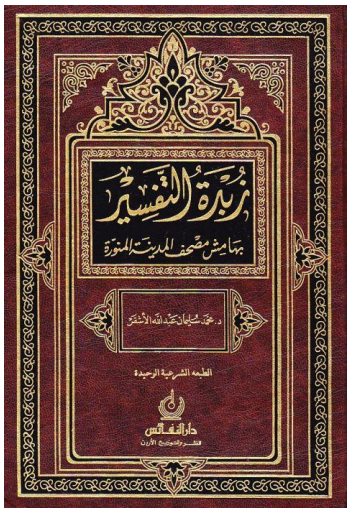

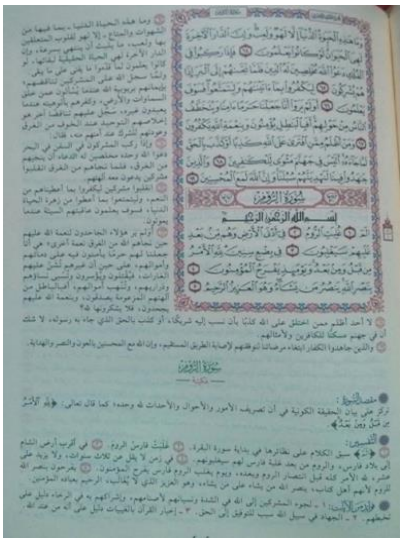

العرض والصف

1) التفاسير الثلاثة تأتي بهامش مصحف المدينة، فإطار الوجه المراد تفسيره من القرآن يتوسط ويعتلي الصفحة، وفي الباقي يكون التفسير، وهذا يفيد في مسائل الطهارة ومس المصحف.
2) **الميسر** يلتزم أن يكون هامش التفسير مع نفس الصفحة، فتبقى الصفحة فارغة من الأسفل إذا انتهى التفسير،
3) أما **الزبدة** فيحرص أن يكون هامش التفسير ملازما للوجه المفسر، إلا أنه أحياناً يتقدم أو يتأخر بآية أو آيتين.
4) **المختصر** يلتزم بأن يكون التفسير في الهامش ملازماً لنفس الوجه المفسر، ويملأ الفراغ الزائد في الأخير بفوائد من الآيات، فهو ملتزم من ناحية فنية وتسبب في خلل من ناحية منهجية، فالفوائد أحيانا تكون قليلة وأحيانا كثيرة، وليس السبب حاجة الآيات وعمقها بل الصف الفني.
5) الجميع يأتي في عمود واحد، ما عدا **الزبدة** يأتي في عمودين في الصفحة الواحدة.
6) الجميع طباعته فاخرة، يعيب **الميسر** اقتصاره على لون واحد وهو الأسود في التفسير، ويمتاز **المختصر** بطباعة فاخرة جداً ويتوفر بألوان متعددة.
7) الجميع يتوفر بأحجام مختلفة.

مميزات مشتركة:

1) سلامة التفسير من الانحراف العقدي
2) وثوقية المؤلفين: ف**الزبدة** مؤلفه عالم جليل له عدة مؤلفات، و**المختصر** أصدره مركز تفسير الذي نفخ الروح في الساحة العلمية القرآنية بإصداراته، و**الميسر** أخرجه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ورغم أن المجمع أغفل أسماء العلماء الذين قاموا بالتفسير إلا أن اسم المجمع يكفي.
3) الاختصار و وضوح العبارة مع الالتزام بالطريقة والمنهج.
4) قلة – انعدام الأخطاء المطبعية.

مميزات خاصة:

الميسر:

1) تحريره من قبل نخبة من العلماء.
2) إصداره من مجمع الملك فهد الذي ينال ثقة عالمية عند المسلمين.

المختصر:

1) قيام مجموعة من العلماء والمختصين بتحريره.
2) ذكره لفوائد الآيات نهاية كل وجه.
3) جودة الإخراج والصف.
4) ذكر مقصد السورة في أولها.
5) ذكر مكان نزول السورة في أولها.

الزبدة:

1) تعاقب على تحريره أكثر من عالم على مر القرون، فالأشقر اختصره من (فتح القدير) للشوكاني، الذي جمع كتابه من تفسير ابن كثير والطبري وغيرهم، فالعبارة فيه محررة، ويزيد المؤلف عند الحاجة بين [ ].
2) مؤلفه درّس التفسير (فتح القدير) دراسة نظامية، فخبر الكتاب والتفسير.
3) أول طبعة صدرت عام 1406 ولازال المؤلف يصحح وينقح بما يرده من ملاحظات العلماء حتى استقرت طباعته عام 1421، وتوفي مؤلفه -رحمه الله- 1430، فبقي يتداول تحت نظر مؤلفه تسع سنين.
4) مؤلفه له تجربة في التأليف، وله دربة على الاختصار.

طريقة التفسير

الميسر: في الهامش مباشرة يذكر رقم الآية ويفسرها، وربما جمع أكثر من آية في سياق واحد.

المختصر: في الهامش يذكر رقم الآية وبدلاً من إعادة كتابة النص القرآني يبدأ بالتفسير ويلون الكلمة الغريبة للدلالة على أنها المقصودة بهذا المعنى.

الزبدة: الطريقة المعتادة يذكر الجزء المراد تفسير بين قوسين ثم يفسر، وهكذا، وأجدها تريح العين من التنقل.

نموذج: تفسير قوله تعالى : ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16)﴾

الميسر: كرام الخلق أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة.

المختصر: كرام عند ربهم، **كثيري فعل الخير** والطاعات.

الزبدة: (كرام) كرام على ربهم، (برزة) أتقياء مطيعون لربهم صادقون في إيمانهم.

مقارنات

والآن سأذكر أمثلة مختلفة، وتفادياً للإطالة سأذكر النص القرآني وأكتفي في نقل التفسير على موضع الشاهد، إذ بقية التفسير متقارب المعنى وتختلف عباراته وليس في إيراده مزية غير التطويل، وسأورد العلامة ... دلالة على حذف الكلام، ووقع اختياري على مواضع تشتمل قدرا من الغريب لبيان جودة التفسير وظهور الاختلاف، وسأردف التفسير بالتعليق.

الموضع الأول:

سورة طه: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77))

المختصر: ولقد أوحينا إلى موسى أن سر بعبادي ليلا من مصر حتى لا يشعر بهم أحد، واجعل لهم طريقا في البحر يابسا بعد ضرب البحر بالعصا، آمنا لا تخاف أن يلحق بك فرعون وملؤه ولا تخشى من الغرق في البحر.

الزبدة: (أن أسر بعبادي) أي سر بهم من مصر ليلاً دون أن يشعر بكم أحد، (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا) أي اجعل لهم طريقا في وسط البحر، وهو بحر القلزم (السويس) يابسا، وذلك أن الله تعالى أيبس لهم تلك الطريق حتى لم يكن فيها ماء ولا طين (لاتخاف دركا) أي آمنا من أن يدرككم العدو (ولا) أنت (تخشى) من فرعون أو من البحر.

التيسير: ولقد أوحينا إلى موسى: أن اخرج ليلا بعبادي من بني إسرائيل من مصر، فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا، لاتخاف من فرعون وجنوده أن يلحقوكم فيدركوكم، ولا تخشى في البحر غرقاً.

التعليق: تميز **المختصر** بذكر الكيفية وهي العصا، وتميز **الزبدة** بذكر اسم البحر وهو السويس وأجاب عن السؤال البدهي للقارئ كيف يخوض البحر؟ بأن الله أيبسه لهم، ولم يبين **التيسير** شيئاً من ذلك، وزاد **الزبدة** في معنى (تخشى) بأن جعلها عائدة لفرعون أو البحر، بعكس الباقين الذين خصوها بالبحر.

الموضع الثاني:

سورة طه: (يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80))

المختصر: ... **وواعدناكم أن نكلم موسى بالجهة اليمنى من الوادي الواقع بجانب جبل الطور**، ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه مما هو **حلو الطعم يشبه الصمغ**، ونزلنا عليكم **طيرا يشبه السماني**.

الزبدة: ... أمرنا موسى بإخراجكم معه لنكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام الذي يخاطبه به رب العزة، والمراد: أن الله وعد موسى أن يخرج معه جماعة مختارة منهم وكان مكان الموعد جانب الطور الأيمن وهو جبل سيناء (ونزلنا عليكم المن والسلوى) قد تقدم تفسيره في (سورة البقرة 58)

الميسر: يابني اسرائيل اذكروا حين أنجيناكم من عدوكم فرعون، وجعلنا موعدكم الجانب الأيمن من جبل الطور لإنزال التوراة عليكم، ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصمغ طعمه كالعسل والطير الذي يشبه السماني.

التعليق: بداية يظهر لي أن تفسير **الزبدة** أكثر إحكاما وتحريراً، وأفاد المعنى وقربه لذهن القارئ وفق سياق القصة، وتكرر تميزه بذكر أسماء الأماكن والمواضع، وهنا شيء جديد أيضاً: **الزبدة** يحيل إلى المعنى المتكرر إلى موضعه الأول بعكس الباقين، وهذا وإن كان يعده البعض عيبا لأنه يقطع القراءة، إلا أنه أرسخ وأحكم في الفهم لأنه يربط القارئ بالموضع المقارب للسياق فيعينه على تدبر القرآن وسياقاته وإيراد الآيات والأخبار فيه.

وهناك أمر آخر لطيف وهو: بعد أن عدنا لموضع البقرة وجدنا **الزبدة** يفسر المن والسلوى بهذا التفسير: (المن) طلّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن الكمأة من المن [الذي أنزله الله على موسى] (والسلوى) قيل: هو السماني طائر يذبحونه فيأكلونه، وقيل: السلوى العسل.

ومرة أخرى يظهر لي أن تفسير **الزبدة** أدق وصفا وتقريباً للمعنى من تفسير الباقين الذي اكتفوا بأنه صمغ! ولم يذكروا الخلاف حتى ولو كان قوياً ويوسع ذهن القارئ، ولكن بماذا فسر **المختصر والميسر** المن والسلوى في موضع سورة البقرة؟

المختصر: ... وأنزلنا عليكم المن **وهو شراب حلو مثل العسل**، والسلوى وهو **طائر صغير طيب اللحم**.

الميسر:... وأنزلنا عليكم المن وهو شيء يشبه الصمغ طعمه كالعسل، وأنزلنا عليكم السلوى وهو طير يشبه السماني... .

إذن **المختصر** في آية طه جعل المنّ مأكول حلو كالصمغ، ولكنه في البقرة جعله شرابا، وهذا اضطراب، أما **الميسر** فلم يتغير.

أيضا تكرر ذكر المن والسلوى في سورة الأعراف (160) فأحال **الزبدة** على أول موضع وهو آية البقرة، و **الميسر** لم يتغير، ولكن ماذا عن **المختصر**؟

لم يفصل هنا هل المنّ مأكول أو مشروب وإنما (شيء) يشبه الصمغ حلو الطعم، لكن الملفت أنه لم يلون التفسير في الكلمتين كما اشترط مع أنها غريبة وقد لونها في المواضع الأخرى! بل جعل تفسيرها بين قوسين فقط.

الموضع الثالث:

سورة الأعراف: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148))

لا شك أن القارئ لقصة السامري يحتاج لتوضيح وبيان يعينه على الفهم، فلننظر جودة التفاسير الثلاثة في ذلك البيان:

المختصر: واتخذ قوم موسى من بعد ذهابه لمناجاة ربه من حليهم **تمثال عجل** لاروح فيه **وله صوت**، ألم يعلموا أن هذا العجل لايكلمهم....

الزبدة: (واتخذ قوم موسى من بعده) أي بعد خروجه إلى الطور، (من حليهم) ما معهم من حلي الذهب (عجلا) أي صنعوا منها تمثالا بصورة عجل (جسدا) من البقر لا روح فيه [وكانت عبادة البقر واتخاذها آلهة عادة من عادات قوم فرعون] (له خوار) الخوار: صوت الثور إذا خار، روي أنه لما وعد موسى قومه ثلاثين ليلة فأبطأ عليهم في العشر المزيدة، قال السامري لبني اسرائيل، وكان مطاعا فيهم: إن معكم حليا من حلي آل فرعون الذي استعرتموه منهم لتتزينوا بها في العيد، وخرجتم وهو معكم، وقد أغرق الله أهله ، فهاتوها، فدفعوها إليه، فصنع منها العجل المذكور....

الميسر: واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقهم ماضيا لمناجاة ربه معبودا من ذهبهم عجلا جسدا بلا روح له صوت يشبه صوت البقر....

التعليق: لاأظن قارئاً يشك بتفوق **الزبدة** في هذا الموضع بشكل كبير، وأن **المختصر والميسر** – للأسف– لم يفيدا القارئ بأي معنى زائد عن الآية، ولو اقتصر عليهما القارئ فلن يفهم قصة السامري وستبقى كثير من الأسئلة تتوالد في ذهنه، ورغم أن القارئ العادي لا يستطيع تتبع مواضع القصة لمعرفتها، إلا أننا سنفترض ذلك، فما رأيكم أن ننظر قصة السامري في سورة طه كيف تناولتها التفاسير الثلاثة؟

الموضع الرابع:

سورة طه: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96))

المختصر: ... قال السامري لموسى: **رأيت مالم يروه**، فقد رأيت جبريل على فرس فأخذت قبضة من تراب من أثر فرسه فطرحتها على الحلي المذاب المسبوك على صورة عجل، فنشأ عن ذلك عجل جسد له خوار..

الزبدة: (قال بصرت بما لم يبصروا به) قيل: زعم أنه رأى جبريل على فرس فألقي في ذهنه أن يقبض قبضة من أثر فرسه، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حيا، (فنبذتها) فطرحتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل ....

الميسر: قال السامري: رأيت مالم يروه وهو جبريل عليه السلام على فرس، وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده، فأخذت بكفي ترابا من أثر حافر فرس جبريل، فألقيته على الحلي الذي صنعت منه العجل، فكان عجلا جسدا له خوار...

التعليق: التفسير هنا متقارب إلا أن **الزبدة** تميز بتوهين كلام السامري وتضعيفه، فاستخدم كلمة (زعم) و (ألقي في ذهنه) ليفيد القارئ أن فعله وهم وباطل، ورغم أن **الميسر** تميز بذكر متى كان فعل السامري إلا أنه مربك للقارئ فسياق القصة أن فعل السامري بعد ذهاب موسى وليس بعد خروجهم من البحر.

ومن اللطيف هنا: أن **الميسر** يستخدم نفس نص الآية في التفسير (عجلا جسدا له خوار) فإذا كان يراه واضحاً ليستخدمه، فما الحاجة إلى الحشو بأن يفسره في المواضع الأخرى!

الموضع الخامس:

سورة طه (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97))

المساس المذكور في الآية يحتاج لتوضيح، دعونا نقارن لنرى:

المختصر: قال موسى للسامري: فاذهب أنت فإن لك أن تقول ما دمت حيا: **لا أَمَسّ ولا أُمَسّ**، فتعيش منبوذا... .

الزبدة: (قال فاذهب) أي: فاذهب من بيننا، واخرج عنا، فإن لك ما دمت حيا (أن تقول لا مساس) أي لايمسك أحد ولاتمس أحدا، أي: أمر موسى أن ينفى السامري عن قومه وأمر بني اسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له....

الميسر: قال موسى للسامري: فاذهب فإن عقوبتك في الحياة الدنيا أن تعيش منبوذا تقول لكل أحد: لا أَمَسّ و لا أُمُسّ... .

التعليق: يبدو مرة أخرى أن غاية الاختصار نهشت من جودة البيان، ف**الزبدة** يتفوق في بيان معنى النفي والنبذ والهجر، ولكن في **المختصر** خطفت بصري (فاذهب أنت) فالتركيب عسر وكأنه مترجم من لغة أجنبية، والكلام يصح بدون إقحام (أنت).

وسأنتقل إلى الموضع الأخير، ولن أنقل التفسير بغية الاختصار ولكني سأعلق مباشرة:

الموضع السادس:

سورة الأعراف: **(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) الآيات.**

التعليق: سياق قصة أصحاب القرية يؤسس لتحريم الحيل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعنى ظاهر من القصة تقريباً، لكن تميز **الزبدة** بذكر اسم القرية بعكس الباقين وهي أيلة التي بجوار العقبة وقيل: طبرية.

أيضا تميز **الزبدة** بذكر أن بني اسرائيل انقسموا إلى ثلاثة فرق: فرقة عصت، وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم تعص، وفرقة اعتزلت ونهت ولم تعص، وبيّن **الزبدة** حال الفرقة الساكتة المعتزلة وأورد أثرا عن ابن عباس بعكس الباقين، فلم يذكرا سوى الفرقة الهالكة والفرقة الناجية.

وبناء على ماسبق فإني أرى مستوى التفاسير الثلاثة كالتالي:

الأول **الزبدة** ويليه **المختصر** ثم **الميسر**، وأظنني في غنى عن ترداد الكلام المكرور بأن هذا لا يعد تهويناً من الجهد المبذول في التفاسير الثلاثة، أو يسقطها، بل هي مفاضلة وفي كل خير، والله أعلم.

بدر الغامدي

ظهر 1436/9/28